

فقط . فطننت إلى أنها أُمى .

كنت واقفا في فتحة الباب سادا له تقريبا . أما هي فكانت على بسطة السلم في ثوب ريفى أسود أجرب على صدره شريط من الحرير مرصع بالخرز وتحت هذا الشريط مباشرة كان « النبعان » اللذان وهبا لى الدر وهبا لى الحياة . وأمامها حقيبة خشبية قديمة بنية ناصلة اللون مقللة على حاجاتها . ومن إحدى زواياها أطل شيء أسود لعله طرف طرحة أو طرف ثوب . أما وجهها فقد كان غريبا ، كل عضو منه بقى في موضعه من غير شك ، لكن هيئته العامة كانت غير جميلة ، وعليها كثير من شمس الريف وكثيرا جدا من سوء التغذية وشظف العيش فأدركت أنها كانت تشتغل في الحقول . وكفها حين صافحتنى بها كانت في خشونة الليف . وفوق حاجبها تماما أثر « بطحة » وفوق شفها العليا آثار شارب ، وعلى جسمها كله آثار ذل . وكان الولدان يلعبان في الداخل أو يذاكران ، وأنا على الوضع الذى وصفته .. وأخيرا أفقت على قولها :

— هل أدخل ؟

فوسعت لها الطريق في صمت بمركة الآلة فانحنت على حقيبتها وحملتها ودخلت بها وهى منحنية قليلا ، وعندما رآها الغلامان صاحبا في فرح لا يخلو من المفاجأة : « أما .. أما .. » وتعلق كل بذراع ، أما هى فقد أخذت تبيكى .

وتركتها مع الطفلين ولذت بالحجرة الأخرى وعلى رأسى شبه دقائق المطارق وفى عيني دموع كثيرة .

ودخل المساء بليدا ثقيلآ خاليا من المرح المعهود .. فخرجت أضرب على الطريق الرئيسى الذى يصلنا بالإسكندرية تحت ليلة حارة وسماء لا قمر فيها .